الفصل الرابع

تعليم المرأة خلال العصور الإسلامية

حتى العهد العثمانى

تعليم المرأة خلال العصور الإسلامية

حتى العهد العثماني

أ- تعليم المرأة أيام الرسول - ﷺ - والخلفاء الراشدين:

لم يكن التعليم منتشرا فى الجاهلية إلى حد كبير، حيث لم يكن للعرب بالعلوم عهد(١). كذلك لم يكن لهم فى ذلك الوقت علم بالمعنى المفهوم، بل معارف متفرقة حذقوا فيها بحكم البيئة التى نشأوا عليها، وطبيعة البلاد التي درجوا فيها(٢). فنجد أنهم بالتجارب، وقوة الملاحظة، وبعد النظر، ومحاكاة جيرانهم من الأمم تبحروا فى الفلك، ووصف الأرض، والطب، وأظهروا نبوغًا لا مثيل له فى الشعر والخطابة والكهانة(٣). كذلك نجدهم قد مهروا فى تتبع الأنواء، وتعرف أوقات نزول الغيث، كما كانت لهم دراية خاصة بمعرفة آثار الأقدام، وساعدهم على ذلك تلك الصحراء المغطاة بالرمال التى تنطبع عليها القدم بسهولة(٤) كذلك بحكم أن جزيرة العرب كان يسكنها قبائل متناحرة متدابرة، فدفعتهم الحاجة الملحة إلى أن يحفظوا أنسابهم التى يعتمدون عليها فى عقد محالفاتهم، أوشن الغارة على أعدائهم، أو المنافسة على مراكز الرياسة فيهم، وغير ذلك من المعارف التى تحتاجها مثل هذه البيئة(٥).

وبظهور الإسلام.. ظهرت علوم جديدة تتصل بهذا الدين الجديد من العقيدة والشريعة، مستمدة من مصادر التشريع المختلفة.

وكان للمرأة المسلمة أيام الرسول ﷺ نصيب كبير فى الإلمام بالكثير من العلوم المحيطة ببيئتها، وكان طبيعيا أن تولي اهتمامها الأول للعلوم الدينية نظرًا لأن

---

(١) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسى**، مرجع سابق، ١/ ٨١.

(٢) زاهية مصطفى قدورة: **عائشة أم المؤمنين**، مطبعة مصر، سنة ١٩٤٧، ص١٢٤.

(٣) محمد عطية الإبراشى: **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، مرجع سابق، ص٨.

(٤) أبو زيد شلبى: **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤، ص٢٧.

(٥) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسى**، مرجع سابق، ١/ ٨٢.

الدين من أول الضرورات، ولذلك تحتل علومه ا لمقام الأول.

وتشير المصادر المختلفة إلى نبوغ عدد كبير من الصحابيات فى العلوم الدينية، ففى طبقات ابن سعد نجد أنه قد عقد جزءا لرواية الأحاديث من النساء أتى فيه على أكثر من سبعمائة (٧٠٠) امرأة روين عن الرسول ﷺ أو عن الثقات من أصحابه رضى الله عنهم(١).

وبلغت المسانيد من الأحاديث التى رواها الإمام أحمد فى مسنده عن الصحابة الكرام أربعة وتسعمائة (٩٠٤) مسندا، منها واحد وعشرون ومائة (١٢١) مسنداً لصحابيات(٢).

وترجم الحافظ ابن حجر اثنتين وخمسمائة وخمسين وألف (١٥٥٢) صحابية روين عن الرسول ﷺ وقال عنهن أنهن كن ثقات عالمات(٣).

ومما يدل على دقة النساء فى الرواية والحفظ، أن الحافظ الذهبى اتهم أربعة آلاف من المحدثين، ولكنه قال عن المحدثات: وما علمت من النساء من اتهمت (أى بالكذب) ولا من تركوها، ثم ذكر منهن ثلاثًا وثلاثين ومائة (١٣٣) امرأة(٤).

وقد أُستنبط مما روى عن هؤلاء المحدثات الكثير من الأحاديث التى تتعلق بالأحكام الشرعية وغيرها، فاعتمدها كبار الفقهاء والمشرعين فى فتاويهم وقضائهم(٥).

وبجانب علوم الدين، كانت منهّن ذوات الفصاحة والبلاغة، فهذه قتيلة بنت الحارث التى روت عن النبى ﷺ الأحاديث وعندما قتل على بن أبى طالب أخاها،

---

(١) محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى**، دار التحرير ا لقاهرة، ١٩٦٨، وسيشار إليه بطبقات ابن سعد.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل: **المسند**، المكتب الإسلامى، بيروت ط٢، ١٩٧٨.

(٣) الحافظ بن حجر العسقلانى: **الإصابة فى تمييز الصحابة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٤٠هـ، ص٤ / ٢٢٤ – ٥٠٦. وسيشار إليه بالإصابة. وذكر أحمد شلبى: **تاريخ التربية الإسلامية**، أنهن ١٥٤٣ محدثة، وذكر عن ابن حجر أنه قال عنهن أنهن كن ثقات عالمات.

(٤) الذهبى: (أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان): **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال**، تحقيق على محمد البجاوى، مطبعة عيسي البابى الحلبى، القاهرة ٤ / ٦٠٤، وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه لسان الميزان ما قاله الذهبى.

(٥) عمر رضا كحالة: **المرأة فى عالمى العرب والإسلام**، مرجع سابق، ٢ / ١١.

يروى أنها ذهبت للنبى ﷺ ترثيه بأبيات تأثر بها النبى. وقال ﷺ: «**لو بلغنى شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه**»(١). وهذه الخنساء بنت عمرو بن الحارث التى عدّها الجمحى (١٣٩ - ٢٣١هـ) من فحول الشعراء ووضعها فى طبقة أصحاب المراثى(٢). ويذكر أن الرسول ﷺ كان يعجب بشعرها ويستنشدها ويقول: هيه يا خنساء ويومئ بيده(٣).

ونبغ فى بعض المعارف الطبية العديد من المسلمات فى صدر الإسلام ،ومنهن رفيدة، وأم سليم، وأم سنان، وأمينة بنت قيس الغفارية، وكعيبة بنت سعد الأسلمية، والشفاء بنت عبد الله(٤)، ومنهن من مارست فن التمريض مثل رفيدة الأسلمية التى كانت تقوم على تمريض جرحى المسلمين فى خيمة نصبت لها فى مسجد النبى ﷺ فى المدينة المنورة أثناء غزوة الخندق(٥). فكانت بمثابة أول مستشفى ميدانى عسكرى فى الإسلام، وقامت بتمريض سعد بن معاذ الذى أصيب بسهم فقطع من سعد الأكحل وهو عرق فى الذراع(٦). ومنهن من كانت تقوم بعمليات الختان مثل أم عطية التى ظلت تمارس هذه العملية بعلم من النبى ﷺ والذى كان يقدم لها النصح فى ذلك.

فعن الرسول ﷺ قال: «**يا أم عطية، ا خفضى ولا تنهكى، فإنه أسر للوجه وأحظى عند الزوج**»(٧).

---

(١) ابو محمد عبد الله بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السنا وآخرين، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة سنة ١٩٥٥، جـ٢، ص١١٨، ١١٩. وسيشار إليه بسيرة ابن هشام - خير الدين الزركلى: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ٥/ ١٩٠. وسيشار إليه بالأعلام، وفيه ذكر أنه كان أباها وكان من أسرى بدر.

(٢) محمد بن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة (د.ت.) ص٢٠٣.

(٣) عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٥، ١٩٨٤ (وسيشار إليه بأعلام النساء).

(٤) عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد: الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥، ص٢٠.

(٥) الإصابة ٤/ ٣٠٢.

(٦) عبد الله عبد الرزاق مسعود: الطب ورائداته المسلمات، مرجع سابق، ص٢٥.

(٧) رواه البيهقى فى السنن الكبري كتاب الأشربه والحد فيها، باب ما جاء فى الختان، كنز العمال ١٦/ ٤٠٧ حديث ٤٥٣١٣، ٤٥٣١٥، ورواه ابو داود كتاب الادب باب الختان.. واخرجه البيهقى فى السنن =

ومنهن من نبغت فى علاج القروح الجلدية (النملة) وهى الشفاء العدوية التي قال لها النبى ﷺ : «**علمى يا شفاء حفصة رقية النملة**»(١). والنملة هى قروح تخرج فى الجنبين(٢). و كانت الشفاء تقول فى رقيتها : «باسم الله الذى لا يضر أحداً، اكشف الباس رب الناس» وترقى به على عود كركم سبع مرات وتضعه مكاناً نظيفاً، ثم تدلكه على حجر بخل خمر مصفى، ثم تطليه على النملة(٣). والرقية هنا تطمئن نفس المريض وتزيل عنه الاضطرابات النفسية أولاً فيقول تعالى : ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد :٢٨]، علاوة على ذلك استخدمت الشفاء الكركم وهو نبات معمر يستعمل مطهرا للاستعمال الخارجى(٤)، وكذا الخل الذى يبرده ويجففه، وأثبت العلم الحديث أن الشفاء قد أفلحت عندما استعملت الدواء، وذكرت اسم الله قبل استعماله فى معالجة القرحة الجلدية(٥).

وإذا حاولنا حصر المعارف التى تلقتها المرأة المسلمة فى صدر الإسلام فلندرس علم أم المؤمنين عائشة والتى ضربت رضى الله عنها المثل الأعلى فى تلقي العلم سواء كان علما دينيا، أو معظم العلوم التى كانت تحيط ببيئتها فى ذاك الوقت.

فكانت رضى الله عنها مرجعًا فى سنن النبى ﷺ فى المسائل النسائية وغير النسائية حتى التى يحتاج إليها الرجال أن يسألوها فيها ويرجعوا إليها(٦). عن أبى موسى الأشعرى قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما(٧).

= والخطيب فى المتفق والمفترق عن الضحاك مرسلاً. الجامع الكبير ١ / ٩٤٩ . وقال الخطابى قوله: لا تنهكى معناه لا تبالغى فى الخفض والنهك والمبالغة فى الضرب والقطع وغير ذلك، وقد نهكن الحمى إذا بلغت منه وأضرت به. معالم السنن ٤ / ١٥٨ .

(١) سبق تخريج الحديث فى الفصل الثانى من الدراسة، و حفصة هى أم المؤمنين ابنة عمر بن الخطاب.

(٢) الحافظ أبى عبد الله بن القيم الجوزى: **زاد المعاد فى هدى خير العباد**، المطبعة المصرية، ط٣، ١٩٧٣، ٣ / ١٢٤، وسيشار إليه بزاد المعاد.

(٣) عبد الله عبد الرزاق مسعود: **الطب ورائداته المسلمات**، مرجع سابق، ص٨٥ . نقلاً عن أبى نعيم فى الحلية.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، ص١٤٥٢ .

(٥) عبد الله عبد الرزاق مسعود: **الطب ورائداته المسلمات**، مرجع سابق، ص٩٠ .

(٦) عباس العقاد: **الصدّيقة بنت الصديق**، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٦١، ص٢١ .

(٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده، الفتح الربانى ٢٢ / ١٢٨، وقال صاحب الفتح الربانى: رواه الترمذى وقال «حسن صحيح».

وكانت رضى الله عنها خير مثال لطالبة العلم «عن نافع بن عمر قال: حدثنى ابن أبى مليكة أن عائشة زوج النبى ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبى ﷺ قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: قلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾. قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»[1]. وقد عقّب الحافظ ابن حجر على الحديث بقوله «وفى الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معانى الحديث، وأن النبى ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة فى العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب»[2].

ولم يقف تمكن السيدة عائشة من القرآن إلى حد المناظرة، بل إنها كانت تفسر بعض آياته التى يخفى معناها على بعض الصحابة فيسألونها، والأمثلة على ذلك عديدة.

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها «ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن.. وترغبون أن تنكحوهن». قالت: «هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته فى ماله حتى فى الغدق، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه فى ماله بما شركته فيعضلها» فنزلت الآية[3].

وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا» قالت: «الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول أجعلك من شأنى فى حل» فنزلت الآية فى ذلك[4].

وكان للسيدة عائشة دور كبير فى رواية الأحاديث عن الرسول ﷺ فيذكر الإمام ابن الجوزى أنها رضى الله عنها قد روت عن الرسول ﷺ ألفين ومائتين وعشرة (٢٢١٠) أحاديث شريفة ووضعها من أصحاب الألوف[5]، وقال عنها

---

(١) أخرجه مسلم كتاب التفسير باب فى قوله تعالى: «فسوف يحاسب حساباً يسيرا» ورواه الإمام أحمد فى مسنده. الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد ١/٢٣٧.

(٢) الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد ١/٢٣٧.

(٣) أخرجه البخارى، كتاب التفسير باب ويستفتونك فى النساء.

(٤) أخرجه البخارى: كتاب التفسير باب وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا.

(٥) ابن قيم الجوزية: تلقيح مفهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩.

أيضًا: «كانت مقدمة فى العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام»، وذكر أبو حفص[١] أن الذين رووا الألوف عن الرسول ﷺ أربعة منهم السيدة عائشة[٢].

وامتازت السيدة عائشة بأن معظم الأحاديث التى روتها قد تلقتها مباشرة من النبى ﷺ، وانفردت رضى الله عنها برواية أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ ولم يروها عنه غيرها، حيث امتلأ مسندها بالأحاديث التي لا توجد فى غيره إلا إذا رويت عنها رضى الله عنها[٣]، وأصبحت حجرتها الشريفة مدرسة الحديث الأولى، فكان يقصدها طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، لذلك كان عدد الرواة عنها كبيرًا، أوصلهم الذهبى إلى نحو المائة[٤].

ولم يقتصر دور أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على نقل الحديث، بل تجاوزت ذلك إلى الفقه حيث أحسنت تعلم الفرائض والأحكام الشرعية وغيرها من فروع الفقه المختلفة، فاجتهدت فى استنباط الأحكام للوقائع الجديدة التى لم تجد لها حكمًا صريحًا فى الكتاب والسنة، فعنها قال أبو سلمة: ما رأيت أحدًا أعلم بسنن الرسول ﷺ، ولا أفقه فى رأى إن احتيج إلى رأى، ولا أعلم بآية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها[٥] وبلغ من درجة فقهها رضى الله عنها أن قال عنها الحاكم أنه نقل عنها ربع الشريعة[٦]. وليس فى هذا القول أو هذه الشهادة أية مبالغة على الرغم عن اتساع الحكم وشموله، فقد كان العلم من أبرز صفات السيدة عائشة رضى الله عنها، إذ بلغ علمها ذروة الإحاطة والنضج فى مختلف ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه[٧].

---

(١) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٩، ١/ ٢٢، (وسيشار إليه بأعلام الموقعين).

(٢) حيث روي أبو هريرة ٥٣٧٤ حديثًا ثم عبد الله بن عمرو وأنس بن مالك اللّذان رويا أكثر من عائشة بقليل ثم عائشة فى الترتيب. محمود الجيلانى حمزة: الإشراق الإسلامى، الشركة التونسية للتوزيع، ٢/ ١٢.

(٣) عبد الحميد طهاز: السيدة عائشة: سلسلة أعلام المسلمين (١٢)، دار القلم دمشق ط٢، ١٩٧٩، ص١٨٧.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٣٥ - ١٣٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٥.

(٦) مستدرك الحاكم ٤/ ١١.

(٧) محمد على قطب: عائشة معلمة الرجال والأجيال: مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٦، ص٨١.

وقد سئل مسروق هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟. قال: والذى نفسى بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض[١]. وذكرها أبو إسحق الشيرازى فى طبقاته فى جملة فقهاء المدينة، وقدمها ابن حزم على سائر الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى فى الأحكام[٢].

وذكر ابن القيم أن الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين رجل وامرأة. وقال: إن المكثرين سبعة منهم عائشة رضى الله عنهم، ونقل عن ابن حزم قوله عن هؤلاء المكثرين: يمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[٣]. وروى البلاذرى عن القاسم بن محمد أنه قال: استقلت عائشة بالفتوى منذ وفاة النبى ﷺ حتى ماتت بعده بخمسين سنة[٤].

وكانت للسيدة عائشة بعض الآراء الفقهية التى انفردت بها مثل:

* يجوز للمضطجع قراءة القرآن[٥].

* تقرأ فى المصحف وهى تصلى[٦].

* لا ترى باسا فى إتمام الصلاة فى السفر، فكانت تتم فى السفر[٧].

* لا ترى وجوب الزكاة فى حلى المرأة[٨].

وبلغ من علمها رضى الله عنها أنها استدركت على بعض الصحابة ضياع أول الكلام عليهم أوآخره، كذلك استدركت على كثيرين فهمهم لحديث أو خطأ

---

(١) الفتح الربانى ٢٢/١٢٨.

(٢) الإجابة ص٥٩.

(٣) أعلام الموقعين ١/١٢.

(٤) الفتح الربانى ٢٢/١٢٧.

(٥) أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى: المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى، المكتب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ١/٣٤٠. (وسيشار إليه بمصنف عبد الرزاق).

(٦) مصنف عبد الرزاق ٢/٤٢٠.

(٧) المرجع السابق ٣/٥٦١.

(٨) المرجع السابق ٤/١٠٣.

استنباط حكم من آية. أو معرفة أسباب النزول، أو اجتهاداً فيه مشقة على الناس. وقد خصص الزركشي كتابًا كاملاً وضع فيه استدراكها على الصحابة أمثال أبو هريرة، وعمر بن الخطاب، وابن عمر، وأبو سعيد الخدرى، وغيرهم رضوان الله عليهم(١).

ومن أمثلة من استدركتهم أم المؤمنين عائشة:

* عندما توفيت ابنة عثمان بن عفان بمكة نهى عمر بن الخطاب عن البكاء عليها وقال: إن الرسول ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»، وقال ابن عباس: «فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: «رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ ولكنه قال: «**إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه**». قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن «ولا تزرو وازرة وزر أخرى». واستدركت نفس الحديث على عبد الله بن عمر(٢).

* واستدركت عائشة ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما عن مسروق عن عائشة أنه ذكر عندها أن الرسول ﷺ قد قال: «**يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب**». فقالت «شبهتمونا بالحمير والكلاب، والله لقد رأيت ا لرسول ﷺ يصلى وأنا على السرير بينه وبين القبلة، مضطجعة فتبدو لى الحاجة، فأكره أن أجلس فأوذى رسول الله ﷺ فأنسل من عند رجليه(٣).

وقد كتب الحافظ جلال الدين السيوطى كتابًا آخر فى نفس موضوع كتاب الإجابة وسماه «عين الإصابة فى استدراك عائشة على الصحابة»، وهو مختصر لكتاب الإجابة وتصويب لبعض ما ورد فيه(٤).

ولم يقف علم السيدة عائشة على العلوم الدينية، بل نجدها رضى الله عنها فصيحة اللسان، قوية البيان، تحفظ كثيراً من أشعار العرب، كما كانت تنشد

---

(١) الإمام بدر الدين الزركشى: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة - تحقيق سعيد الأفغانى - المكتب الإسلامى ببيروت ط٢، ١٩٧٠. (وسيشار إليه بالإجابة).

(٢) الإجابة ص٦.

(٣) الإجابة ص١٦١.

(٤) محمد على قطب: عائشة معلمة الرجال والأجيال، مرجع سابق ص٨٣.

الشعر ولعل من أسباب ذلك أنه تولى تربيتها جماعة من بنى مخزوم، كما كانت العادة فى الجزيرة العربية[١]. فعن موسى بن طلحة قال: ما رأيت أحدا أفصح من عائشة[٢].

ولقد شهد ببلاغتها كثير من الرجال منهم الأحنف بن قيس إذ قال: سمعت خطبة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة»[٣].

وكانت رضى الله عنها تنشد الشعر، وعندما كان يثنى الناس شعر عروة بن الزبير ابن أختها أسماء كان يقول: «وما روايتى من رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً[٤]. وعن الشعبى قال: إن عائشة قالت: «رويت للبيد[٥] نحو من ألف بيت، وكان الشعبى يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة[٦].

وكانت رضى الله عنها تقتدى بأبيها فى حفظ الأخبار[٧]، والأنساب ويستفاد من بعض المنقول عنها أنها كانت تواقة إلى معرفة كل ما تعرف من تواريخ الأمم غير قانعة بأخبار الأمة العربية، ولا بالأخبار التى تعنيها خاصة كأخبار النبى ﷺ والصحابة والعشيرة الإسلامية[٨]، ومنها خبر النجاشى حين هاجر المسلمون إلى بلاده فأوفد إليه المشركون جماعة منهم يحملون إليه الغوالى والنفائس ليبطش بأولئك المهاجرين أو يردهم إلى قومهم فقال: «ما أخذ الله منى الرشوة حين ردّ علىّ ملكى، فآخذ الرشوة منهم، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه». فخفى على السامعين معنى كلامه هذا حتى بلغ السيدة عائشة ففسرته بما انتهى إلى علمها،

---

(١) زاهية مصطفى قدورة: عائشة أم المؤمنين، مطبعة مصر، ١٩٤٧.

(٢) أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) مستدرك الحاكم ٤/ ١١.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، ٢/ ٨٧٦٦.

(٥) طبقات ابن سعد ص٧٢، ٧٣ - سير أعلام النبلاء ٢/ ١٧٩.

(٦) هو شاعر من شعراء الجاهلية.

(٧) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٩٧.

(٨) عباس محمود العقاد: الصديقة بنت الصديق، مرجع سابق، ص٤٩.

وهو أن هذا النجاشي كان من الأمراء المغصوبين فأقصاه الملك الغاصب وباعه بيع الرقيق، ثم أعيد إلى ملكه فاقتضى الرجل الذى اشتراه حقه، وأبى هذا النجاشي إلا أن يعطوه الدراهم من أموالهم ليجزيهم بصنيعهم وهذا هو تفسير قول النجاشي السابق[1] ويدل هذا على شغف أم المؤمنين باستطلاع أحوال الأمم حينما تسنى لها سبيل الاطلاع.

ونبغت السيدة عائشة فى الطب، ويتعجب من ذلك ابن أختها عروة بن الزبير ويقول لها: إنى لأتفكر فى أمرك لأعجب: أجدك من أفقه الناس فقلت ما يمنعها، زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبى بكر، وأجدك عالمة بأيام العرب وأنسابها وأشعارها فقلت: وما يمنعها وأبوها علامة قريش، ولكن إنما أعجب أن وجدتك عالمة بالطب فمن أين؟ فأخذت بيدى وقالت: يا عروة إن رسول الله ﷺ كثر من أسقامه، فكان أطباء العرب والعجم ينعتون له فتعلمت ذلك[3]. وفى رواية أخرى لابن الزبير أيضًا أوضحت سبب تعلمها الطب قائلة: «كانت الوفود تأتى رسول الله ﷺ فلا يزال الرجل يشكو عليه فيسأله عن دوائها فيخبره بذلك، فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته[4]. وفى رواية ثالثة أوضحت سبب تعلمها الطب فى حديث عروة ابن الزبير الذى حاول فيه أن يجمع علم عائشة فلم يستطع، فعن عروة بن الزبير قال: «لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أدرى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب منها. فقلت لها: يا خالة: الطب من أين علمتيه؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لى الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه[5].

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٤٠ – المرجع السابق بتصرف ص ٤٩.

(٢) كان عالم الأخبار فى تلك الفترة بمثابة المؤرخ حيث كان يروى الحوادث، التي وقعت. خليل داود الزرو: الحياة العلمية فى الشام فى القرنين الأول والثانى للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١، ص١٩٦.

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده: الفتح الربانى ٢٢ / ١٢٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢ / ١٩٧.

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال عنه الحافظ الذهبى: رجاله ثقات. سير اعلام النبلاء ٢ / ٩٨٣.

هذا هو القليل الذى وصل إلينا من علم عائشة، أما الباقى فذهب برحيلها، وفى ذلك يقول عروة بن الزبير: ذهب عامة علمها، لم أسأل عنه(١).

وعنها قال الزهرى: «لو جمع علم نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبى ﷺ كان علم عائشة أكثر من علمهن»(٢).

ب- تعليم المرأة فى الدولة الأموية:

اتجهت الحركات العلمية فى صدر الإسلام وحتى آخر الدولة الأموية فى ثلاث اتجاهات:

* حركة دينية، وعنيت بالبحث فى الشئون الدينية من تفسير القرآن والحديث. والتشريع وما إلى ذلك.

* حركة أدبية: عنيت بالتاريخ والقصص والسير ونحوها.

* حركة فلسفية: عنيت بالمنطق والكيمياء والطب وما إليهم(٣).

ويرى البعض أن الخلفاء الأمويين لم يشجعوا من هذه الحركات الثلاث سوى الحركة الأدبية حيث فتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء وبذلوا لهم الأموال، ولم يفعلوا شيئًا للعلماء والفلاسفة، ونجدهم وقد استثنوا من الأمويين خالد بن يزيد بن معاوية الذى كان خطيبا شاعرًا، وكثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء، وكذلك عمر بن عبد العزيز الذى كانت نزعته دينية وشقى به الشعراء(٤).

ولكن هذا لم يمنع من أن العلم الدينى هو الذى كان سائدًا، والذى كانت مسائله تبحث بنظر أدق. ولم تكن العلوم متميزة فى تلك الفترة، فلم يكن وقتئذ علم خاص بالتفسير أو آخر خاص بالفقه، وكذلك كان حال العلماء فابن عباس مثلاً، كان يتكلم فى مجلس واحد فى مسائل متنوعة وفروع متعددة، فالثقافة فى

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٨٣.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده: الفتح الربانى ١٢/١٢٨- مستدرك الحاكم ٤/١١.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٧٩ ص١٤٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٤.

ذاك الوقت كانت كتلة واحدة ممتزجة من تفسير وحديث وفقه وما يلزمها من لغة وشعر، كلها تلقى فى درس واحد ليس ذا فروع ولا لكل فرع - اسم، حتى أحاديث رسول الله ﷺ لم تكن تبوب الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد تحت باب واحد(١).

وفى القرن الثانى بدأت جماعة بجمع الأحاديث التي رويت للرسول ﷺ وصحت عنه، وقد كان للحديث أكبر الأثر فى نشر الثقافة فى العالم الإسلامى حيث كانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه، و عن طريقه انتشرت فى العالم الإسلامى أنواع متعددة من الثقافة. فالتاريخ الإسلامى مثلاً بدأ بشكل أحاديث كالتى رويت فى كتب الأحاديث من مغاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم، ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتبًا قائمة بنفسها، و كذلك الحال لغير ذلك من أنواع المعرفة كالفقه والسياسة والاقتصاد والطب، حتى اتخذت تلك المعارف مسميات وأقسام نتيجة لاختلاط المسلمين بالأمم التى فتحوها(٢).

وفى هذا الجو كان للمرأة المسلمة الدور الكبير فى رواية الحديث النبوى وظلت محافظة غالبًا على الطريقة الأولى من حفظ الحديث بالسند والسماع والإجازة والقراءة(٣). ولما كان الحديث الشريف أوسع مادة للعمل والثقافة فى العصور الإسلامية، يتضح لنا مبلغ ما كانت عليه النساء المسلمات اللاتى اشتغلن برواية الحديث من علم وثقافة. فقد كن راويات للتاريخ والقصص والحِكَم وعالمات بالتشريع فى العبادات، وعارفات بحكم الدين فى كثير من المسائل المدنية والجنائية(٤).

واشتهر من راويات الحديث فى تلك الفترة العديد من النساء، نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام: دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، (د.ت) ٢/ ١٠.

(٢) عمر رضا كحالة: المرأة فى عالمى العرب والإسلام: مؤسسة الرسالة، بيروت ٢/ ١٠.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١١.

(٤) زينب محمد فريد: تعليم المرأة العربية فى التراث وفى المجتمعات العربية المعاصرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص١٣.

* **عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية**: كانت فى حجر عائشة أم المؤمنين فحفظت عنها الكثير، وقال عنها عمر بن عبد العزيز: ما بقى أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة، وذكرها ابن حبان فى الثقات وقال: كانت من أعلم الناس بحديث عائشة، و قال عنها ابن سعد: إن عمرة عالمة توفيت سنة ٩٨ هجرية(١).

* **عائشة بنت طلحة حفيدة أبى بكر الصديق**: كانت من راويات الحديث الثقات، ذكرها ابن حبان فى الثقات، وبالإضافة إلى علمها بالحديث كانت أديبة عالمة بأخبار العرب، وكانت أشبه الناس بخالتها عائشة أم المؤمنين وفدت على هشام بن عبد الملك، فبعث إلى مشايخ بنى أمية أن يسمروا عنده فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارها إلا أفاضت معهم فيه، و ما طلع نجم ولا غار إلا سمته، وقد أخذت ذلك عن عائشة أم المؤمنين. توفيت سنة ١٠١ هجرية(٢).

* **عاتكة بنت يزيد بن معاوية**: والتى قال عنها أبو زرعة الدمشقى: فيمن حدث بالشام من النساء عاتكة بنت يزيد، وحدث عنها الكثير، وقال: سمعت محمودا يقول: فى الطبقة الثالثة عاتكة بنت يزيد(٣).

وبجانب رواية الحديث، ساهمت المرأة بدور كبير فى أوجه الحياة المختلفة فكانت تسمع وتتعلم الفقه والتفسير، فضلاً عن الأدب، وفنونه، حيث كانت الثقافة الأدبية من أبرز مميزات هذا العصر، ودل على ذلك أن كتب الأدب العربى مليئة بشهيرات النساء العربيات فى هذا الميدان، ممن اشتغلن بالأدب إنشاء ونقدا، ومنهن كذلك من قامت بتدريسه(٤).

---

(١) عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٤، ٣/٣٥٦ (وسيشار إليه بأعلام النساء) - خير الدين الزركلى، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠، ٥/٧٢ - ابن سعد (محمد بن عبد الله)، الطبقات الكبرى، دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨، ٨/٣٥٣ (وسيشار إليه بطبقات ابن سعد).

(٢) الذهبى (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥، ٤/٦٩، (وسيشار إليه بسير أعلام النبلاء)، أعلام النساء ٣/١٣٦، الأعلام ٣/٢٤٠.

(٣) أعلام النساء ٣/٢١٦ - ٢٢٠.

(٤) حسن على حسن؛ الطوم الطالب محمد: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٦، ص١٤٤.

واشتهر من هؤلاء سكينة بنت الحسين بن على التى عرفت بأنها سيدة الناقدين[١]، والتى قال عنها المستشرق الفرنسى بيرون: «سيدة سيدات عصرها، وأجملهن وأرقاهن وأسماهن صفات وأخلاقًا[٢]، وكانت تجالس العلماء من قريش، ويجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها فيما ينتجون من آثار فتكشف لهم عن مدى ما فى آثارهم من جودة أو ضعف، ولطالما اجتمع فى مجلسها جرير، والفرزدق، وجميل، ونصيب، والأحول. ولطالما ادعى كل منهم أنه أشعر الشعراء ثم تراضوا برأيها فيهم وفى شعرهم حيث كانت تنقد قول كل منهم وتبين ما فيه من جيد وردىء[٣]، وكانت السيدة سكينة تنقد الشعر ولكنها لم تكن تقرضه[٤]. وبجانب ما سبق نجدها قد حدثت عن أبيها، وروى عنها أهل الكوفة. توفيت سنة ١١٧ هجرية[٥].

* كذلك اشتهرت **زوجة الفرزدق** بأنها كانت أديبة ناقدة يحتكم إليها شعراء العصر وأدباؤه، وقد حكمها الفرزدق بينه وبين جرير فقالت: إنه قد غلبك فى حلوه، وشاركك فى مره، أى ترى أن جريرا وازى الفرزدق فى الهجاء، و انفرد دونه فيما رق من الشعر كالغزل[٦].

* **عمرة الجمحية**: وكان يجتمع لديها الرجال لإنشاد الشعر والمحادثة[٧].

* **ليلى الأخيلية**: والتى اختلف أيتهما أشعر هى أم الخنساء، فقال الأصمعى: إن ليلى أشعر من الخنساء. وحدث عبد الله بن مسلم عن أبيه فقال: كنت فى مجلس ضم أشرافا من قريش فتذاكروا الخنساء وليلى الأخيلية ثم أجمعوا على أن

---

(١) زينب محمد فريد: تعليم المرأة العربية فى التراث وفى المجتمعات العربية المعاصرة، مرجع سابق ص١٤.

(٢) (Wiebke, Waither: Femmes en Islam - Traduit de l'allemand par madeleine male'fant - Sindbad.

(٣) أنور الجندى: فى طريق المرأة العربية، مرجع سابق ص٤٨.

(٤) كرم البستانى: النساء العربيات: دار مارون عبود ١٩٧٩، ص١٥.

(٥) أعلام النساء ٢ / ٢٢٤.

(٦) أحمد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة ١٩٥٤، ص٣٣٠. عن الجاحظ: البيان والتبين ٢ / ٩٣.

(٧) أعلام النساء ٣ / ٣٤٦.

الأخيلية أفصحهما، وقالوا: ليلى أكثر تصرفًا وأغزر بحرا وأقوى لفظا، والخنساء أذهب عمودا فى الثراء[١] كذلك فضلت ليلى على النابغة الجعدى الذى غلبته فى مهاجاة بينهما، مما جعل بنى جعدة يشكونها لأمير المؤمنين فى ذاك الوقت. ولم تقف ليلى الأخيلية عند حد قول الشعر بل كان يتحاكم إليها الشعراء فى ذاك الوقت[٢].

وعن الحقوق التعليمية التى نالتها المرأة المسلمة فى هذه الفترة، نجد أنه قد اختلفت الأقوال حيث ذكر أحد الآراء: «أن المرأة المسلمة فى العصر الأموى كانت مغلوبة على أمرها، تقبع فى زوايا منزلها، تدرس العلوم الدينية كافة، وتفضل الانزواء فى دارها على الاختلاط بالنسوة الأرقاء والسبايا، لذلك عرفن بالنساء الحرائر اللواتى شغفن بالشعر والأدب امتدادًا للعصر الجاهلى من حيث العناية بالأدب فتألقت كثيرات منهن فى الناحية الأدبية نظرا لوفرة الأموال التى جاءتهم من الفتوحات فراحوا يقلدون الفرس والبيزنطيين فى حياة الترف والبذخ، مما أدى إلى ازدهار الشعر والأدب وخاصة فى المدينةعاصمة الخلفاء الراشدين لما توفر فيها من أموال، كذلك بعد أن أصبحت دمشق عاصمة الخلافة الأموية[٣].

وعلى الطرف الآخر ذكر أحد الآراء[٤] «فى الدولة الأموية زاحمت المرأة الرجال فى طلب جميع العلوم والمعارف، وأصبحت لا تختلف عنهم فى شىء، ثم انكبت على طلب الشريعة والفقه والحديث والشعر والأدب والبيان والخط، وبوجه الإجمال فإنها أحاطت بجميع فروع العلوم فأتقنتها أيما إتقان، وفى عهد هشام والوليد لم تكن النساء تختلف عن الرجال[٥]، وقد عقّب جميل بيهم

---

(١) وقد سبق الحديث عن الخنساء ومكانتها كشاعرة وكيف أن الجمحى: (١٣٩ - ٢٣١هـ) قد وضعها فى طبقات فحول الشعراء.

(٢) أعلام النساء ٤ / ٣٢١ - ٣٣٤، سامى مكى العانى: معجم ألقاب الشعراء - مكتبة الفلاح - دبى، ١٩٨٢، ص١٧، ابن قيم الجوزية (محمد بن بكر الزرعى): أخبار النساء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤، ص٤٤، أحمد صابر: الأجوبة المسكتة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ط٣، ١٩٤٩، ص٢٣٠.

(٣) باسمة كمال: تطور المرأة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٨٨، ٨٩.

(٤) أحمد أجاييف وهو أحد المستشرقين.

(٥) محمد جميل بيهم: المرأة فى الإسلام فى الحضارة الغربية، دار الطليعة بيروت، (د. ت) ص٨٨. نقلا عن أحمد أجاييف، حقوق المرأة.

على ذلك بقوله: «وفى هذا القول شيء من المغالاة قد يقع فيه الكتاب حينما تسيطر عليهم العواطف، والواقع أن النساء وإن لم يقفن فى ذلك العصر عند حد رواية الحديث أسوة بأخواتهن فى عهد الخلفاء الراشدين، بل أقبلن على العلوم الدينية كافة، وأدركن نصيبا وافرا منها واهتم بعضهن بتدريسها، إلا أن عدد الشهيرات منهن كان قليلا[١].

وقامت الباحثة بمحاولة حصر لشهيرات النساء فى هذه الفترة والتى ورد ذكرهن فى معجم أعلام النساء، وبقدر المستطاع من الأعلام للزركلى وسير أعلام النبلاء للذهبى، فوجدت أن الغالبية العظمى من النساء فى تلك الفترة كن يولين اهتمامهن بالدرجة الأولى بالعلوم الدينية، فكان أكثرهن على علم بالحديث وروايته، وقراءة القرآن الكريم وتعليمه، كذلك ظهر منهن الفقيهات، ثم كان منهن من اهتمت بالأدب إنشاء ونقدا، ثم اشتهر القليل منهن بحفظ الأخبار والحوادث التاريخية، وعلم النجوم، وتفسير المنام مثل أسماء بنت عميس التى كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يسألها عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك[٢].

أما من اشتهرت منهن بالطب فلم تجد الباحثة سوى زينب - طبيبة بنى أود - والتى اشتهرت فى أواخر عهد الأمويين بحذقها أعمال الطب والجراحة وخبرتها بمداواة أمراض العيون[٣].

هكذا نجد أن المرأة المسلمة فى تلك الفترة قد تلقت كافة فروع العلم التى عرفت آنذاك فيقول صاحب كشف الظنون[٤] فكانت العرب فى صدر الإسلام لا تعتنى بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها، وبصناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس إليها، واستمر ذلك إلى آخر عصر التابعين».

---

(١) المرجع السابق ص٨٩.

(٢) أعلام النساء ١/ ٥٨.

(٣) أعلام النساء ١/ ١٢٣. نقلا عن ابن أبى أصيبعة - الموسوعة العربية الميسرة.

(٤) حاجى خليفة (مصطفى بن عبدالله): كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ملحق بكتاب يوسف ق. خورى. العلوم عند العرب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، وسيشار إليه بكشف الظنون.

ج- تعليم المرأة فى الدولة العباسية :

وفى العصر العباسى كان من الطبيعى أن يكون من أنسب الفترات ملاءمة للنهضة الثقافية، حيث بدأت تستقر مدينة الإسلام، وذلك بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التى كانت طابع العصر الأموى[١]، ثم بدأت تنتشر العلوم سواء كانت دينية كالتفسير والحديث والفقه، أو لسانية كالنحو والأدب، أو علوما أخرى كالتاريخ، وكانت هذه العلوم كلها فى البداية شفهية يتناقلها الناس بعضهم عن البعض بالسماع ولم يكن التدوين معنيًا به إلا من قبل أفراد قلائل وبشكل بسيط[٢].

ومن الملاحظ أنه فى بداية العصر العباسى كان هناك نوعان من الدراسة : دراسة دينية حول القرآن والحديث، وأخرى دنيوية حول الطب وكان لكل منهما منهج خاص فى البحث[٣]، وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين بقوله : «إن العلوم صنفان : صنف طبيعى للإنسان يهتدى إليه بفكره، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه»[٤].

ويرى البعض أنه لم يكن فى بداية العصر العباسى مراحل معينة للتعليم فليس هناك مرحلة للتعليم الابتدائى وأخرى للثانوى وهكذا، إنما هناك مرحلة واحدة تبتدئ بالكتاب أو المعلمين الخاصين ثم يختلف الأمر فربما يكمل طالب العلم تعليمه حتى تكون له حلقة فى المسجد، أو يقف فى نصف الطريق أو ربعه حيث كان منهم من يتعلم فى المكتب حتى يقرأ ويكتب ويحفظ ما تيسر له من القرآن ويحسن أمور دينه ثم ينصرف إلى عمل من صناعة أو تجارة، ومنهم من يلزم الشيوخ يأخذ عنهم وينتقل من شيخ إلى آخر، ومن بلد لآخر حتى يكتمل علمه[٥].

---

(١) أحمد شلبى : المجتمع الإسلامى : الكتاب الثالث من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، النهضة المصرية ط٤، ١٩٧٤. ص٢١٣.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ٢ / ٣٦١.

(٣) المرجع السابق ٢ / ١٢.

(٤) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) : المقدمة، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨٢، ص ٣٦٣ (وسيشار إليه بمقدمة ابن خلدون).

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مرجع سابق ٢ / ٦٦.

ومن كان يكمل تعليمه على يد شيخه، كان يحصل منه على إجازة أو إجازات تجيز له رواية الحديث أو تدريس كتاب أو الإفتاء[١]، ويذكر القلقشندى فى ذلك «أما الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة على أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للتدريس فإنه يأذن له شيخه فى أن يفتي ويدرس، ويكتب له بذلك»[٢].

وكان الطلبة فى الدولة العباسية حريصين على الرحلة فى طلب العلم والتتلمذ على أكبر عدد ممكن من العلماء، وقد دأب كل منهم على تدوين كشف بمشايخه يسمى «معجم الشيوخ أو المشيخة»، وكان هذا الكشف بمثابة شهادتهم الجامعية التى تؤهلهم لتبوء مقاعد التدريس، غير أن ذلك الوضع اختلف بالنسبة لبعض المواد كالنحو والقراءات والفقه، حيث كان الطالب يلازم شيخا واحدا حتى يتم دراسته على يديه، ولكن هذا لم يمنع بعض الطلبة من الجمع بين حضور مجالس شيخين أو أكثر[٣].

ولم تحرم المرأة المسلمة فى الدولة العباسية من فرص التعليم، حيث كان بوسعها الذهاب للمسجد، وحضور الدروس المفتوحة، علاوة على أنه كانت هناك دروس خاصة بهن يلقيها بعض الشيوخ مثل درس الإمام أحمد بن حنبل للنساء، وكان يلقيه عليهن فى المساء[٤].

والظاهر أن تعليمهن كان يتم غالبا فى أماكن خاصة كالبيوت، وكثير من هؤلاء المتعلمات كن بنات العلماء أو من ذوى قرباهم، فقد كن يستفدن من الدروس التى كانت تعقد فى بيوتهن لتعليم الطلاب[٥]، ومن أمثلة هؤلاء ابنة القاضى المحاملى العلامة الشافعى وكانت تعرف، «بأمة الواحد» واشتهرت بأنها كانت أحفظ الناس للفقه على المذهب الشافعى وكانت تفتى مع أبى علي بن أبى هريرة، وقال عنها الدارقطنى أنها كانت عالمة بالحديث والفرائض والقراءات، بجانب

---

(١) حسن عبدالعال: التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، دار الفكر العربى، القاهرة، سلسلة مكتبة التربية الإسلامية، الكتاب الأول، ص١٤٣.

(٢) المرجع السابق. نقلا عن صبح الأعشى ١٤/ ٣٢٢.

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى، ترجمة وتعليق سامى الصقار: دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨١، ص٧٦.

(٤) المرجع السابق، ص٨١.

(٥) المرجع السابق، ص٨٢.

علمها بالحساب والنحو وغيرها من العلوم، توفيت سنة ٣٧٧ هجرية[١].

وعلى الرغم من السماح للمرأة بحضور مجالس المذاكرة فى ذاك الوقت، إلا أنه كان عدد من بلغ منهن مرتبة العلم أقل من الرجال، لأن الفرص التى أتيحت لهن كانت أقل من تلك المتاحة للذكور، فتعليم البنات كان فيه شيء من الصعوبة، وكانت هناك عقبات فى سبيل تعليم النساء تعليما مدنيا، حيث كان تعليم المرأة يتم عن طريق أحد ذويها، ويقوم به معلم خاص، وكلا هذين لا يتيسر للجمهرة العظمى من النساء، فى حين أن وسيلة تعليم الولد سهلة حيث كان يلتحق بالكتاب صبيا وينضم للحلقات بالمساجد إذا شب وتمت ثقافته[٢].

وربما كان السبب في ذلك أيضا يرجع إلى أن طلاب العلم فى تلك الفترة كانوا يرحلون فى طلب العلم وخاصة المحدثون الذين كانوا أنشط الناس للرحيل، وأصبرهم على العناء، وذلك لأن الصحابة عند الفتح تفرقوا فى الأمصار المختلفة، فسكنوا فارس والعراق ومصر والشام والمغرب وكان لكل منهم طائفة من الحديث لا تعرف فى الأمصار الأخرى[٣].

ولكن هذا لم يمنع من ظهور الكثيرات من المسلمات اللائى تغلبن على هذه الصعوبات بطريق أو بآخر، فكانت ثقافتهن لا تقل عن ثقافة الرجال بل فقنها فى كثير من الأحوال، وهذا ما لم تنله معاصراتها الأوروبيات[٤].

ومن أمثلة هؤلاء اللواتى اشتهرن بالعلم فى تلك الفترة:

* **السيدة نفيسة بنت الحسن**، حفيدة الإمام على بن أبى طالب (١٤٥ / ٢٠٨ هجرية)، والتى اشتهرت برواية الحديث والفقه، وكانت من خيرة المحدثات فى عصرها، وكان يجلس فى مجلسها مشاهير العلماء والمجتهدين، ولما دخل الإمام

---

(١) الخطيب البغدادى: (الحافظ أبى بكر أحمد بن على): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربى، بيروت (د. ت) جـ٤، ص٤٤٢- ٤٤٣ (وسيشار إليه بتاريخ بغداد)، أعلام النساء ١ / ٨٩.

(٢) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، مرجع سابق، ص٨٢، محمد عطية الإبراشى: التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق، ص١٣١، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٢١.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مرجع سابق ٢ / ٧٠.

(٤) أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٢٥.

الشافعى مصر حضر إليها وسمع عنها الحديث[١].

* **كريمة المروزية وست الوزراء**: وكانتا من أهم رواة الأحاديث النبوية التى جمعها البخارى، ويروى عن الخطيب البغدادى أنه قرأ صحيح البخارى على كريمة المروزية فى خمسة أيام[٢].

ونجد أن منهن من نبغت فى علمها إلى درجة تؤهلها للإجازة مثل:

* **زينب بنت عبدالرحمن الشعرى** (٥٢٤ هـ/ ٦١٥ هـ): كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية وإجازة، وسمعت من الكثيرين مثل النيسابورى والقشيرى وأجاز لها الزمخشرى صاحب الكشاف وغيره من السادات الحفاظ، أجازت لابن خلكان وهو طفل جريا على العادة من إجازة الأطفال الذين ينبتون فى بيوت العلم تشجيعا لهم عندما يشبون، وقد انقطع بموتها إسناد عال فى الحديث[٣].

وهناك من الأمثلة لمن كانت تعلم النساء واتخذت منها حرفة مثل:

* **سيدة بنت عبدالغنى العبدرى**: اعتنى والدها بتعليمها ليؤهلها لحرفة تعليم النساء لتقتات منه فحفظت القرآن الكريم وتلقت بعض العلوم وجودت الخط، واجتمعت بالأندية العلمية، وقامت بالتعليم فى دور الأشراف والأغنياء، ونسخت بخطها مرارا كتاب إحياء علوم الدين للغزالى، وغيره من المؤلفات الأدبية، والأخلاقية، وعندما أقعدها المرض أنابت عنها فى التعليم ابنتها، توفيت سنة ٦٤٧هـ[٤].

ونلاحظ أن هؤلاء العالمات نشأن فى أواخر الدولة العباسية أى أيام ضعفها واضمحلالها والذى لم يمنعهن من تلقى العلم.

---

(١) ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعى): وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت) ٢/ ٢٥١ (وسيشار إليه بوفيات الأعيان)، أعلام النساء جـ ٥ ص١٨٧ - ١٩٠.

(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مطبعة مصر ١٩٠٧، ١/ ٣٤٧، آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة، دار الكتاب العربى، بيروت، ط٤، ١٩٦٧، ١/ ٣٥٦، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٢٩، نقلا عن ابن بشكوال، الصلة فى تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٣٣، أعلام النساء ٤/ ٢٤٠، ١/ ١٧٣.

(٣) أعلام النساء: جـ٢، ص٧٥، ٧٧، الأعلام ٣/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٩٧٨.

(٤) أعلام النساء ٢/ ٢٧٥.

وقد خصص الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ترجمة للنساء من أهل بغداد وحدها والمذكور لهن بالفضل ورواية العلم، وقامت الباحثة بحصرهن فوجدت أنه ترجم لاثنين وثلاثين شخصية كان جميعهن على علم بالحديث وروايته(١).

كذلك الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هجرية، وهو أوثق رواة الحديث وأصدقهم حديثا حتى لقبوه بحافظ الأمة، نجده قد خصص معجما سماه (معجم النسوان)، وكان خاصا بالنساء اللائى أخذ عنهن، وفيه ذكر أنه كان من بين شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء(٢). **فربما لم يسمع الناس فى عصر من العصور، وأمة من الأمم أن عالما واحدا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علما واحداً.**

كذلك أخرج السمعانى - عاش فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجرى - لنفسه معجما ترجم فيه لمشايخه تراجم ذكر منها أسماءهم وأنسابهم، وألقابهم، وأماكن سكنهم، ومجالس وعظهم، ومروياتهم من الأحاديث والكتب ورتب تراجمهم أبجديا، ثم نجده قد أفرد لتراجم شيخاته من النساء حقلا خاصا فى آخر كتابه(٣).

ونلاحظ أن هذه التراجم لنساء كن على علم بالعلوم الدينية وخاصة علم الحديث، ربما لأن الغالبية العظمى من النساء فى ذاك الوقت كانت تولي اهتمامها بالعلوم الدينية فى الدرجة الأولى، ولكن هذا لم يمنع من تعدد الأمثلة لنساء كن على علم بعلوم أخرى غير علم الحديث وروايته مثل:

* **بنت الشريف المرتضى**: التى روت كتاب نهج البلاغة عن عمها السيد الشريف، وروى عنها الكثير من العلماء(٤).

* **عابدة بنت محمد الجهينة**: عاشت فى القرن الرابع الهجرى، واشتهرت بأنها

---

(١) تاريخ بغداد، جـ ١٤.

(٢) صائب الدين محمد بن الأنجب: مشيخة النعال البغدادى، تخريج الحافظ المنذرى، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٧٥، ص ١٥ (وسيشار إليه بمشيخة النعال البغدادى)، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ٣٢٩. نقلا عن ياقوت الحموى، معجم الأدباء.

(٣) مشيخة النعال البغدادى ص ١٧، ونسخة المعجم فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٤٩١، وفيه ٢٩٨ ورقة.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٩٥.

كانت شاعرة فاضلة، وخطاطة ماهرة، وأديبة فصيحة، كانت تمدح عضد الدولة، قال عنها التنوخى: امرأة فاضلة كاتبة هجت محمد بن القسم الكرخى عندما ولي الوزارة.

ولم يقتصر تعليم المرأة فى هذه الفترة على الحرائر من النساء، بل إن فرص التعليم كانت متاحة أيضا للجوارى فى هذا العصر، حيث نالت الجوارى فى تلك الفترة - وفى مختلف العصور الإسلامية - حظهن من التعليم، فنبغن فى علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب(١).

واتجه العباسيون إلى تعليم الجوارى اتجاها قويًا، حيث كان علم الجارية من الشروط التى تزيد من ثمنها(٢)، فكان أكثر عنايتهم بتعليم الجوارى الغناء، وبجانبه كانت تتعلم الأدب، وحفظ الأشعار، والفنون مثل التصوير والرقص والتفنن فى الملبس، ورواية المِلَح والأخبار وغيرها(٣).

وبخلاف الناحية التجارية عنى الرجال بتعليم الجوارى أكثر من عنايتهم بتعليم الحرائر وذلك لأنهم كانوا يغارون على الحرائر أكثر مما يغارون على الجوارى، وكانوا يحجبون الحرة ويشددون فى تحجبها، ولكن الجارية شأنها غير ذلك(٤).

وكثر تعليم الجوارى الغناء، حتى قال أبو حيان التوحيدى: «وقد أحصينا - ونحن جماعة فى الكرخ - أربعمائة وستين جارية فى الجانبين - جانبى بغداد- ومائة وعشرون حرة، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور، يجمعون بين الحذق والحسن والظرف والعشرة، هذا سوى من كنا لا نظفر به، ولا نصل إليه لعزته وحرسه ورقبائه(٥). وفى تلك الفترة امتلأت بعض الكتب بأكملها بتراجم هؤلاء

---

(١) المرجع السابق جـ٣، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) على عبد الواحد وافى: المساواة فى الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) فيقال إن دحمان اشترى جارية بمائتى دينار، وبعد تعليمها باعها بعشرة آلاف دينار. الأغانى للأصفهانى ٥/١٤٣.

(٤) عبد اللطيف حمزة: ابن المقفع، دار الفكر العربى، ط٣، ١٩٦٥، ص ١٥.

(٥) عمر رضا كحالة: المرأة فى عالمى العرب والإسلام، مرجع سابق، ص ١/٥٩.

(٦) أحمد أمين: ظهر الإسلام، النهضة المصرية، ط ٦، ١٩٨٢، ١/١٢٤ نقلا عن الإمتاع والمؤانسة، ٢/١٨٣.

الجوارى والمغنيات(١).

وظهر من بين هؤلاء الجوارى من نبغن فى العلوم الدينية إلى درجة التمكن من مناقشة العلماء، بل تحقيق الحديث، والأمثلة على ذلك عديدة نذكر منها:

* **جارية محمد بن العباس بن الفرات**: التى كانت تعارض ما كتبه على أصول شيخه(٢).

* **حُسْن جارية الإمام أحمد بن حنبل**: والتى روت عن مولاها بعض فتاويه ومسائل كثيرة(٣).

كما نبغت الجوارى فى علوم اللغة وآدابها، فنبغن فى إلقاء الشعر وإجازته والعروض والنحو، وقد أفردت بعض المؤلفات فى التحدث عن هؤلاء(٤).

ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

* **عنان جارية الناطفى**: كانت كاتبة وشاعرة، يقال إن هارون الرشيد قد اشتراها بثلاثين ألفا، وبلغ من تمكنها بعلوم الشعر والعروض، أن الشعراء كانوا يأتون إليها لتجيز لهم الأبيات التى حاروا فيها(٥).

* **فضل الشاعرة (جارية المتوكل)**: فصيحة اللسان، وبليغة فى المخاطبة وذات قدرة كبيرة على المحاورة، كانت تهاجى الشعراء ويجتمع لديها الأدباء، وكانت تمدح الملوك والخلفاء، وكانت أيضا مولّدة - أى تولّد النساء - بجانب علمها السابق(٦). كذلك كانت حسنة الخط فيقول عنها الإمام ابن سحنون: «خلد لنا

---

(١) مثل كتاب الاغانى للأصفهانى.

(٢) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجرى، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) أعلام النساء ١ / ٢٥٨.

(٤) للسيوطى وحده أكثر من مؤلف مثل: «المستظرف من اخبار الجوارى». والذى حققه صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد، بيروت ط ٢، ١٩٧٦، «ترجمة الجلساء فى أشعار النساء» وهو مخطوط بالمكتب الظاهرية بدمشق ويحوى تراجم سبع وثلاثين شاعرة مع نماذج من اشعارهن - احمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

(٥) أعلام النساء ٣ / ٢٦٩.

(٦) الحافظ جلال الدين السيوطى: المستظرف من اخبار الجوارى، مرجع سابق - أعلام النساء ٤ / ١٧١.

التاريخ – على بخله – مصحفا جليلا بخطها الجميل»[١].

*العبادية جارية المعتضد عبّاد: أديبة وكاتبة وشاعرة، وذاكرة للكثير من اللغة[٢]، ذكرها ابن تيمية فى كتابه أدب الكاتب، واستشهد بكتاباتها[٣].

* ذلفاء وقاسم جاريتا ابن طرحان: كانتا تجيزان الشعر، فكان مولاهما يلجأ إليهما فى إجازة بعض الأبيات التى يلقيها من يجلس فى مجلسه[٤].

واشتهرت فى الدولة العباسية طبقة الكتّاب، حيث كان الوزراء فى تلك الفترة يتخذون أعوانا لهم من هؤلاء الكتّاب، وكان على الكاتب أن يلم بقدر الإمكان وبشكل عام بالعلوم المنتشرة فى تلك الفترة، فيتعرض القلقشندى فى مجمل حديثه عن علم الكاتب، لكافة المعلومات البشرية فى عصره تقريبا، من تاريخ وجغرافيا ، وفلك، وما يحتاج إليه الكاتب عمليا فى صناعته من خط ونحوه، ومصطلح المكاتبات، وكيفية العقود، والبريد ومطارات حمام الرسائل، والمناورات[٥].

ولم تقتصر طبقة الكتّاب على الرجال، بل ظهرت طبقة الكاتبات وأمثلتهن عديدة نذكر منهن:

* بنت الأقرع الكاتبة: من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب. قال عنها السمعانى : كان لها خط مليح حسن، وهى التى أهلّت لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العظيم. قال عنها البزار العرضى أنها كتبت ورقة لعميد الملك إلى النصر الكندى، وأعطاها ألف دينار. توفيت سنة ٤٨٠هـ[٦].

---

(١) الإمام محمد بن سحنون: آداب المعلمين ، تعليق محمد العروسى المطوى، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢ ، ص ٣٩.

(٢) أعلام النساء ٣/٢٢٧.

(٣) أنور الجندى: فى طريق المرأة العربية، مرجع سابق ص ٥٤، نقلا عن المقرى، نفح الطيب.

(٤) الحافظ جلال الدين السيوطى: والمستظرف من أخبار الجوارى، مرجع سابق ص ٢٧، ص ٥٦.

(٥) أحمد أمين: ظهر الإسلام، مرجع سابق، جـ ١ ، ص ١٧٠-١٧١.

(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء ، دار المستشرق، بيروت، جـ ١١ ص ١٧١-١٧٢- أعلام النساء ٤/٤١- أنور الجندى: فى طريق، مرجع سابق ،ص ٥٤ نقلا عن ابن العماد – شذرات الذهب.

* **شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى الدينورية** (٤٨٢-٥٧٤هـ)
اشتهرت (بشهدة الكاتبة) . قال عنها ابن خلكان أنها كانت جارية فى الأصل، وكان لا يشق لها غبار فى العلم والأدب والخط الجيد الجميل، أخذ عنها وسمع عليها خلق كثير « وكانت تحاضر للجماهير فى منسجد بغداد حيث كانت تحاضر - بالإضافة إلى العلوم الدينية - فى الأدب والبلاغة والشعر[١] . كانت شهدة من شيوخ ابن الجوزى حيث روى عنها كتاب « التصديق بالنظر إلى الله عز وجل وما أعد لأوليائه لمحمد الأخرى » وقال عنها عند التحدث عن شيخاته اللواتى تلقى عنهن العلم : « سمعت منها، وكان لها خط حسن، وعاشت مخالطة لدار الخلافة، وكان لها بر ومعروف »[٢] . وروى عنها الكثير من الكتب مثل **كتاب الأموال لأبى عبيد**، والذى نجد فى بداية الكتاب عبارة « قرئ على الشيخة الصالحة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت الدينورية بمنزلها ببغداد فى الحادى عشر من شعبان سنة أربعمائة وستين وخمسمائة : أخبركم . . »[٣] . وللكتاب قيمة علمية لا تنكر فهو من خير ما ألف فى الفقه الإسلامى، وهو ثانى الكتب بعد كتاب الخراج لأبى يوسف والتى تتعلق بالنظام المالى فى الإسلام، وهذا الكتاب بما يحتوى من علم قد لا يدخل فى نطاق علوم فرض العين ولا فرض الكفاية، ومع ذلك نجد امرأة قد تلقت العلم فيه (**مجال السياسة المالية للدولة**)، مع أنه فى الغالب لا نجد المرأة تهتم بهذا المجال .

ومن الجوارى من وصلت إلى درجة الجلوس إلى ديوان المظالم مثل **ثمل القهرمانة**، والتى أمرتها أم المقتدر أن تجلس بالرصانة للمظالم، والنظر فى كتب الناس يوما فى كل جمعة، فأنكر الناس ذلك فى البداية ولكنهم ما لبثوا أن تقبلوا الأمر بعد ذلك ، وخاصة بعدما حضر القاضى أبو الحسن الذى حسّن أمرها وأصلح

---

(١) الأعلام ٣ / ١٧٨ - أعلام النساء، جـ٢ ص٣٠٩ - ٣١٢ - أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٢٨- على عبدالواحد وافي : المساواة فى الإسلام، مرجع سابق ٤٨ . نقلا عن ابن خلكان، الوفيات

(٢) ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد) : مشيخة ابن الجوزى، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامى، أثينا وبيروت، جـ ١، ١٩٨٠ ص ٢٠٢ .

(٣) الإمام ابو عبيد القاسم بن سلام : الاموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس. منشورات دار الفكر ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٦ .

عليها فخرجت التوقيعات على سداد، وانتفع بذلك المظلومون. ولا شك أن ثمل قد تلقت قدرا معينا من التعليم أهلها للجلوس إلى ديوان المظالم(١).

وفى الدولة العباسية اتجه الأطباء إلى التخصص فكان منهم الكحالين والجراحين والفاصدين ومن يعالج النساء، وكان بعضهم من النساء(٢). ومن أمثلة ذلك جارية أبى عبد الله الكنانى التى كانت على علم بالطب، وعلم الطبائع ومعرفة بالتشريح وغير ذلك. بالإضافة إلى أنها كانت أديبة وكاتبة جيدة ومغنية، وعلى علم بالنحو واللغة والعروض، وكانت تحسن صناعة الثقاف والمجاولة بالتراس واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهفة(٣).

وكان من المسلمات كذلك فى تلك الفترة من درسن الفلسفة، ومن جاذبن الملحدين أسباب الترفع والإلحاد وجهرن بذلك كله، ومنهن من أقررن بالزندقة فدرسن كتبها، ومن أشهر هؤلاء فاطمة بنت يعقوب بن الفضل وخديجة وهما من بيت المهدى(٤).

وفى تلك الفترة اتجهت بعض الآراء نحو التقليل من الحقوق التعليمية المتاحة للمرأة ومن أمثلتها رأى الجاحظ (١٥٠-٢٥٥هـ) والذى قال «لا تعلموا بناتكم الكتاب ولا تروهن الشعر وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور»(٥).

وترى الباحثة أن الجاحظ قد تأثر فى رأيه هذا بالحديث الموضوع على النبى ﷺ **«لا تنزلوهن الغرف العلالى ولا تعلموهن الكتابة - يعنى النساء - وعلموهن المغزل وسورة النور»**(٦).

---

(١) أعلام النساء ١/١٨٥.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، مرجع سابق ٢/١٩١.

(٣) أعلام النساء ٣/٢٣٥.

(٤) سوزان يوسف أبو الفضل: دراسة الأوضاع العلمية والتعليمية فى العصر العباسى الأول (١٣٢-٢٣٢هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٨٥، ص ٨٦.

(٥) أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجى، القاهرة (د. ت.) ٢/١٨٠

(٦) سبق تخريج الحديث فى جزء سابق من البحث.

ونلاحظ أن هذا الرأى وغيره لم يعق المرأة المسلمة فى ذاك الوقت من الحصول على حقوقها التعليمية، ولكن من الغريب أن هذه الآراء بدأت فى الظهور والتأثير فى فكر عصور لاحقة سيأتى الحديث عنها فى حينه.

د- تعليم المرأة فى الأندلس:

فى أواخر الدولة العباسية انفرد الفاطميون بمصر، والأمويون بالأندلس، أما فى الأندلس فكان المسلمون يعنون كل العناية بالثقافة العالية ويشجعون الطلبة على التعمق فى البحث وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث، ودراسة الفقه والنحو واللغة والأصول والأدب الذى كان يشمل معرفة التاريخ والنظم والنثر والقصص الطريفة، وهى كلها دراسات دينية أدبية(١).

ولم تحرم المرأة المسلمة فى الأندلس من فرص التعليم، وفى ذلك يقول الإمام بن سحنون(٢) «ولا تحسبن إن التعليم الابتدائى كان يختص بالولدان الذكور دون البنات، بل إنه كان شاملاً للجنسين»(٣).

وامتاز تعليم المرأة فى الأندلس بأنه كان دينيًا أدبيًا محضًا، كما امتاز عن تعليم المرأة فى الدولة العباسية بأن أركانه غير الجوارى(٤).

وكان تعليم المرأة يتم على أيدى بعض المعلمين الرجال أو النساء، وكان كثير من المتعلمات من أبناء العلماء أو من ذوى قرباهم ، وقد ذكر الإمام ابن سحنون بعضا من هؤلاء(٥) مثل أبيه **الإمام سحنون** الذى كان يعلم ابنته **خديجة** التى اشتهرت بأنها كانت من ربات الفقه المالكى، وكان أبوها يستشيرها فى مهمات أموره حتى أنه عندما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بعد أخذ رأيها. وكانت النسوة يستفتينها فى مسائل الدين. توفيت سنة ٢٧٠هـ(٦).

---

(١) محمد عطية الإبراشى: التربية الإسلامية، وفلاسفتها، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٢) فقيه أندلسى، توفى سنة ٢٤٠ هـ.

(٣) الإمام محمد بن سحنون: آداب المعلمين، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٤) محمد جميل بيهم: المرأة فى الإسلام وفى الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٥) الإمام محمد بن سحنون: آداب المعلمين، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٦) أعلام النساء ١/ ٣٣٢، ٣٣٣.

كذلك تحدث الإمام سحنون عن القاضى الورع **عيسى بن مسكين** الذى كان يقرئ بناته وحفيداته فى غير مدة قضائه. فكان إذا أصبح قرأ حزبا من القرآن ثم جلس للطلبة إلى العصر، فإذا كان بعد العصر دعا **بنتيه وبنات أخيه** يعلمهن القرآن والعلم، ثم تحدث الإمام عن فاتح صقلية **أسد بن الفرات** الذى كان يعلم ابنته **أسماء**، فكانت تحضر مجالس أبيها العلمية وتشارك فى السؤال والمناظرة حتى اشتهرت برواية الحديث والفقه على رأى أهل العراق وأصحاب أبى حنيفة(١).

وكان بوسع المرأة فى الأندلس الذهاب إلى المسجد للتعلم فيقال إن عثمان بن سعيد بن عثمان المقرى - المتوفى سنة ٤٤٤ هـ - أقرأ بالمرية مدة، وكانت **ريحانة** تقرأ عليه القرآن بها ، فكانت تقعد خلف ستر فتقرأ، ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف فأكملت السبع عليه (٢).

ويحكى ابن فياض فى تاريخه فى أخبار قرطبة، قال: كان بالربض الشرقى فى قرطبة **مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى** وهو يقول: هذا فى ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها(٣)!.

وأشار صاحب نفح الطيب أنه كان بالأندلس من طبقة الحافظات **ستون ألف حافظة** (٦٠,٠٠٠) لكل منهم حق تعليق قنديل يضيء دليلا على باب دارها(٤).

واشتهرت العديد من الأندلسيات اللواتى درسن العلوم الدينية مثل: **ابنة فايز القرطبى**: التى كانت على علم بالقراءات والتفسير والفقه، بجانب اللغة العربية والشعر. ومما يقال عنها أنها ذهبت لأبى عمرو الدانى لتأخذ عنه القراءات فوجدته مريضا ثم مات، فسألت عمن يليه فى العلم وذهبت إليه وكان أبو داود المقرى

---

(١) أعلام النساء ١ / ٤٥ .

(٢) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى إسبانيا الإسلامية، دكتوراه غير منشورة،كلية الفلسفة والآداب، جامعة الأوتونوما بمدريد، ١٩٨٠، مرجع سابق ص ٩٩ .

(٣) سعيد إسماعيل على: ديمقراطية التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٩ . نقلا عن لبيب السعيد، دراسة إسلامية فى العمل والعمال.

(٤) أنور الجندى: فى طريق المرأة العربية، مرجع سابق ص ٩ .

حيث لحقت به فى بلنسية، وقرأت عليه القراءات السبع، وجودتها عليه. توفيت سنة ٤٤٦هـ. (١).

وكان منهن من وصلت إلى درجة تدريس علوم الدين مثل **طرفة بنت عبد العزيز ابن موسى** التى تلقت العلم على عدد من مشهوري عصرها بالأندلس ، وأخذت عنهم كثيرا من كتبهم، وسمح لها زوجها بقراءة هذه الكتب على طلابها(٢).

ومن الأندلسيات من جمعت بين علوم الدين واللغة مثل **فاطمة بنت عبد الرحمن القرطبى** (أم الفتح) : والتى ختمت على أبيها قراءة نافع، واستظهرت عليه كتابي : الشهاب للقضاعى ومختصر الطليطلى، وقابلت معه : صحيح مسلم، والسيرة لأبى إسحاق، والكامل للمبرد، والنوادر للقالى. حدّث عنها الكثير مثل : أبو القاسم بن الطيلسات الذى قرأ عليها بقراءة ورش وسمع منها(٣).

ونجد من الأندلسيات من نبغن فى الدراسات اللغوية والأدبية، ويشير لسان الدين الخطيب إلى العديد من هؤلاء النساء(٤). ومن أمثلة هؤلاء الشهيرات فى علوم اللغة :

***مهرية بنت الحسن بن غلبون التميمى** : أميرة شاعرة من شواعر رقادة – قرب مدينة القيروان – فى القرن الثالث الهجرى، تلقت العلوم فأتقنت علوم العربية، ونبغت فى القريض، وظهرت قريحتها الشعريه(٥).

* **عائشة بنت أحمد القرطبية** : كانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف قال عنها ابن حبان : «لم يكن فى زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علما وأدبًا وشعرا وفصاحة،

---

(١) أعلام النساء ٤ / ١٥٦ .

(٢) سعيد إسماعيل على : ديمقراطية التربية الإسلامية، مرجع سابق ص١١ .

(٣) حسن على حسن : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، مكتبة الخانجى، القاهرة ، ١٩٨٠ ص ١٤٤ – أعلام النساء ٤ / ٧٢ .

(٤) زينب محمد فريد : تعليم المرأة العربية فى التراث، مرجع سابق ص ١٧– نقلا عن لسان الدين الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة .

(٥) أعلام النساء ٥ / ١٢٠ – الإمام محمد بن سحنون : آداب المعلمين، مرجع سابق ص ٣٩ .

توفيت سنة ٤٠٠هـ[١].

* **حفصة بنت حمدون الأندلسية**: شاعرة أديبة عالمة، عاشت فى القرن الرابع الهجرى بالأندلس. ذكرها مؤرخو المغرب[٢].

ونجد أن منهن من نبغت فى علمها لدرجة الاشتغال بالتعليم مثل:

* **مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى (مريم الشلبية)**: أديبة وشاعرة أندلسية، كانت تعلم بنات الأسر الكبرى فى إشبيلية الشعر. توفيت بعد سنة ٤٠٠ هـ[٣].

* **حفصة بنت الحاج الركونى الأندلسية**: شاعرة انفردت فى عصرها بالتفوق فى الأدب والظرف والحسن وسرعة الخاطر فى الشعر: نعتها ابن بشكوال بأستاذة وقتها. كانت تعلم النساء فى دار المنصور، توفيت سنة ٥٨٦هـ[٤].

* **حمدة بنت زياد بن عبد الله العوفى**: شاعرة من شواعر وادى آسن بالأندلس، علّمت النساء فى دار المنصور، وذاع صيتها وعظمت منزلتها. قال عنها ياقوت الحموى «إن حمدة كانت تلقب بخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس»[٥].

ونجد أن هناك من الجوارى من نبغن فى علوم اللغة مثل **العروضية مولاة عبدالرحمن بن غلبون الكاتب (إشراق السويداء)**: والتى سميت بالعروضية لنبوغها فى العروض على الأخص، أخذت عن مولاها النحو واللغة وفاقته فيهما، وبرعت فى العروض، وحفظت الكامل للمبرد، والنوادر للقالى وشرحتهما. قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكامل والنوادر، وأخذت عنها العروض.

---

(١) أحمد بن محمد المقرى التلمسانى: نفح الطيب: تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨، ٦/٢٦. (وسيشار إليه بنفح الطيب للمقرى)، أعلام النساء ٣/٦.

(٢) أعلام النساء جـ ١ ص ٢٧٢، ٢٧٤، الأعلام ٢/٢٦٤.

(٣) أعلام النساء، ٥/٤٧، محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى إسبانيا الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣١. نقلا عن ابن بشكوال – الصلة ٢/٦٤٢، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣٢. نقلا عن نفح الطيب للمقرى ص ١١٤٣.

(٤) أعلام النساء ١/ ٢٦٧، ٢٧١، الإعلام ٢/٢٦٤، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق نقلا عن لسان الدين الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة ١/٣١٦ وما بعدها، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مرجع سابق جـ ٤ ص ١١٥-١٢٢.

(٥) أعلام النساء ١/٢٩٢٩، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣١، نقلا عن الإحاطة فى أخبار غرناطة ١/٣١٦، معجم الأدباء ٤/٣٤٤.

توفيت حوالى سنة ٤٥٠هـ[١].

ونجد أن من المسلمات فى الأندلس من أهّلها علمها إلى أن تكون كاتبة مثل[٢]:

* **مزنة**: كانت كاتبة الخليفة الناصر لدين الدولة، وكانت حاذقة من أخط الناس. توفيت سنة ٣٥٨.[٣].

* **لبنى كاتبة المستنصر بالله الأموى**: كانت شاعرة، وعالمة بالنحو، وبصيرة بالحساب والعروض. قيل إنها كانت جارية الخليفة الحكم بن عبد الرحمن. كانت تكتب الخط الجيد، ومشاركة فى العلم ولم يكن بقصر الخليفة أنبل منها، فهى كاتبة قصره، ومنشئة رسائله، توفيت سنة ٣٩٤هـ وقيل سنة ٣٧٤هـ[٤].

ونجد كذلك أن من المسلمات فى الأندلس من نبغن فى الطب مثل:

* **أخت الحفيد أبى بكر بن زهر الأندلسى**: نشأت فى أسرة عرفت بالطب فى مدينة أشبيلية، واشتهر رجالها ونساؤها بصناعة الطب. وكانت أخت الحفيد على علم بصناعة الطب والمداواة، وكان لها خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء، فذاع صيتها بالولادة، وعلاج بعض أمراض النساء المستعصية فى تلك الفترة. وكانت تدخل على نساء المنصور أبى يوسف يعقوب بن يوسف ولا يُقبل[٥] للمنصور وأهله ولدا إلا أخت الحفيد أو ابنتها لما توفيت أمها[٦].

* **أم الحسن بنت أبى جعفر الطنجالى**: نشأت فى حجر أبيها الذى درسها

---

(١) أعلام النساء جـ ١ ص ٧٠-٧١، ٣/ ٢٦٠، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣٢، نقلا عن المقرى: نفح الطيب ص ١٠٧٨، محمد عبد الحميد عيسى تاريخ التعليم فى إسبانيا الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣٢، نقلا عن السيوطى بغية الوعاة ١/ ٤٥٨.

(٢) سبق الحديث عن العلوم التى يجب أن يلم بها الكاتب والتى تؤهله لهذه المهنة.

(٣) أعلام النساء ٥/ ٤٩.

(٤) أعلام النساء ٤/ ٢٨٧.

(٥) تتولى قبالة نساء أهله أى توليدهن.

(٦) ابن أبى اصيبعة (موفق الدين أبو العباس) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضا، منشور دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٢٤، أعلام النساء ١/ ٢٧٨، على عبد الله الدفاع أعلام العرب والمسلمين فى الطب، مؤسسة الرسالة ١٩٨٣، بيروت ص ١٨٣، أنور الرفاعى: الإسلام فى حضارته ونظمه، دار الفكر العربى ١٩٧٣، ص ٦٠٢.

الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه، وبجانب الطب اشتهرت بأنها كانت شاعرة وأديبة فكان يتوجه إليها ذوو الشهرة والمعرفة لمطالعة أخبارها، وكانوا يعجبون بأدبها ونظمها ولسانها. وقال عنها لسان الدين الخطيب « ثالثة حمدة وولادة »[١] وكانت أم الحسن ذات صوت رخيم عند قراءة القرآن الكريم الذى كانت تجوده[٢].

وممن اشتهرن فى تلك الفترة كذلك سارة الحلبية، التى كانت تحل الذهب بمعرفة وخبرة لتكتب به، بجانب أنها كانت شاعرة وأديبة وكاتبة وكانت تفد على الملوك والأمراء لتمدحهم، وكانت تراسل الأدباء والشعراء والكتاب الذين استحسنوا كافتهم نظمها وشعرها. توفيت فى القرن السابع الهجرى[٣].

هـ - تعليم المرأة فى الدولة الفاطمية:

عندما دخل الجيش الفاطمى مصر بقيادة جوهر الصقلى (٣٥٨-٥٦٧هـ) وأقيمت مدينة القاهرة العاصمة الجديدة ، وبدئ فى إنشاء مسجد جامع لها سنة ٣٥٩هـ كان يهدف الفاطميون بإنشائه إلى اجتماع المؤمنين لأداء فريضة الصلاة، ونشر المذهب الشيعى الذى يدينون به.[٤]

ولكن هذه الصبغة المذهبية لم تكن مانعا من دراسة علوم أخرى مثل الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات، وإن كان ذلك فى حدود ضيقة[٥].

وعن تعليم المرأة فى تلك الفترة يذكر المقريزى أنه كان يعقد مجلسا خاصا للنساء يسمى مجلس الدعوة يتلقين فيه أصول المذهب الفاطمى، وقد كانت تلك

---

(١) هما حمدة بنت زياد بن عبد الله العوفى، والتى سبق الإشارة إلى علمها، وولادة بنت الخليفة المستكفى.

(٢) أعلام النساء جـ ١ ص ٢٥٩-٢٦٠، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٤١، نقلا عن لسان الدين الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ ١ ص ٢٦٥-٢٦٦، عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد: الطب ورائداته المسلمات ،مكتبة المنار، الأردن ط ، ١٩٨٥ ص ٩١ نقلا عن الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، تأليف مجموعة من الأطباء والكتاب المعاصرين العرب ص ٢٣٥، ونقلا عن هيلين راتب: خبرات فى التمريض، ترجمة سعاد ماهر.

(٣) أعلام النساء ٢/ ١٥٦.

(٤) خطاب عطية على: التعليم فى مصر (فى العصر الفاطمى الأول)، دار الفكر سنة ١٩٤٧، ص ٤ ١١.

(٥) المرجع السابق ص ١١٥.

المجالس تعد كلا حسب طبقته[١]، حيث كان لآل علي مجلس، والخاصة وشيوخ الدولة مجلس، والعامة والطارئين مجلس، والنساء مجلس[٢].

وكانت هذه المجالس من أهم أماكن الثقافة فى هذه الفترة، وحضور المرأة فى هذه المجالس أوقفها على كثير من شئون المذاهب السياسية والدينية والحركات الأدبية والعلمية التى تأثرت بهذه المذاهب[٣].

ولما انقرضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر (٥٦٧هـ / ٦٤٨هـ) عمل على محو المذهب الفاطمى، وإحلال المذهب السنى محله، فانشأ بالقاهرة المدارس لذلك مثل مدرسة الفقهاء الشافعية، وأخرى لفقهاء المالكية، ومدرسة لفقهاء الحنفية، وغيرها[٤].

ويرى البعض أنه حينما تولى الأيوبيون حكم مصر، دخل البلاد نظام تعليمى جديد هو نظام المدارس، حيث يعتبر عصر صلاح الدين الأيوبى بداية عصر المدارس فى مصر[٥]. إلا أن هناك رأى آخر ينفى هذا الزعم مستدلين على ذلك بوجود بعض المدارس التى بنيت فى العصر الفاطمى مثل المدرسة العوفية التى بنيت سنة ٥٣٢هـ، والمدرسة المسرورية التى أقيمت بالقاهرة فى نهاية العصر الفاطمى[٦].

وكان نصيب المرأة فى هذا العصر أن شاركت بعض النساء فى النشاط العلمى والدينى، واشتغلن بالنحو واللغة والحديث، وكانت المرأة تستطيع أن تقصد

---

(١) خطط المقريزى، ٢/٢٢٦.

(٢) أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٠٥.

(٣) زينب محمد فريد: تطور تعليم البنت فى مصر فى العصر الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٦١ ص ٥٠.

(٤) وسام مصطفى مطاوع: دور كليات البنات فى تدعيم بعض القيم الاجتماعية والدينية لدى طالباتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨١، ص ١١٠.

(٥) منير عطية سليمان وآخرين: تاريخ ونظام التعليم فى مصر، الأنجلو المصرية، ١٩٦٨، ص ٣٤، أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى عصر محمد على، النهضة المصرية، ١٩٣٨، ص ٧.

(٦) محمود قمبر: دراسات تراثية فى التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٥، ص ٣١.

المسجد وتجلس فيه فى مكان خاص بالنساء تستمع إلى دروس الدين[١] ، وكانت البنات يلتحقن بالكتاب وهن فى سن الطفولة الأولى، إلا أن عددهن كله كان قليلا فى الكتاتيب، أما معظم المتعلمات فكن يتعلمن بالمنزل على يد أقاربهن أو مدرسين خصوصيين[٢] . وتزودنا الكثير من المصادر بأسماء عدد كبير من النسوة اللاتى بلغن درجة رفيعة من العلم، وكان معظمهن من بيوت اشتهرت بالعلم كبيت السبكى والقشيرى وغيرهما[٣].

وظهرت من النساء المسلمات فى هذه الفترة من تلقين العلم فى مصر أو الشام، بل وارتحلن من أجل ذلك، ومنهم من تعلمن الكتابة وكتبن بخط جيد، وكذلك نجد منهن من تبحرن فى العلم والدين، وتتلمذ على أيديهن الكثير من الطلبة[٤].

فقد عدّ أبو حيان من بين أساتذته ثلاثة من النساء هن: **مؤنسة الأيوبية** بنت الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبى، **وشامية التميمية**، **وزينب** بنت المؤرخ الرحالة عبد اللطيف البغدادى صاحب كتاب الإفادة والاعتبار[٥].

ومن أمثلة الشهيرات بالعلم فى هذه الفترة:

* **فاطمة بنت سعد الخير** : محدثة ولدت بالبحرين سنة ٥٢٢هـ ، رحل بها أبوها إلى أصبهان حيث سمعت من **فاطمة الجوزوانية**، ثم قدم بها بغداد حيث سمعها الكثير من العلماء، وروت الكثير بمصر، حيث توفيت سنة ٦٠٠هـ[٦].

* **عفيفة بنت أحمد الفارفانية**: محدثة أجازت للكثيرين مثل على بن أحمد

---

(١) د. حسن الفقى: التاريخ الثقافى للتعليم فى مصر، دار المعارف بمصر ط ٢ ، ١٩٧١، ص ٨.

(٢) منير عطا الله سليمان وآخرون: تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٣) أحمد عزت عثمان صالح: التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة أسيوط ١٩٨٢، ص ١٣٣ . نقلا عن الأدفوى: الطالع السعيد.

(٤) أحمد عزت عثمان صالح: التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى ، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٥) على عبد الواحد وافى: المساواة فى الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٧ ، وقد رجعت الباحثة إلى معجم أعلام النساء فوجدت أن كل من مؤنسة وزينب كانتا على علم بالحديث، أما شامية فلم تستدل عليها. أعلام النساء ٥/١٢٧، ٢/٧٨.

(٦) أعلام النساء ٤/٥٩، أحمد عزت عثمان صالح: التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى – مرجع سابق ص ١٣٤ نقلا عن الأدفوى: الطالع السعيد.

ابن عبد الواحد المقدسى، وأبى الفتح عمر بن حامد القوصى توفيت سنة ٦٠٦هـ(١).

واشتهرت من الفقيهات المحدثات:

* **فاطمة بنت أحمد بن السلطان صلاح الدين:** ولدت سنة ٥٩٧ هـ، سمعت الحديث من **ست الكتبة نعمة بنت على بن الجراح** وغيرها، وسمع عليها الكثير. توفيت سنة ٦٦١هـ(٢).

واشتهرت من الفقيهات الأديبات:

* **زينب بنت أبى البركات البغدادية:** التى درست الفقه والأدب، شيدت لها تذكار باى خاتون ابنة الظاهر بيبرس **رباطا أنزلتها** به ومعها النساء الخيرات. وظل الرباط به دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن حتى زمن المقريزى(٣).

وممن اشتهرت بالأدب وعلوم اللغة:

* **تقية بنت غيث(ست النعم):** ولدت سنة ٥٠٥ هـ. درست الأدب، وكان لها شعر جيد، وقصائد ومقاطع جمعت فى ديوان صغير. وقال عنها السلفى: أن عينه لم تر شاعرة قط سواها. ومن أخبارها أن مدحت المظفر (أخا صلاح الدين الأيوبى) بقصيدة أغربت فيها بوصف الخمر فقال: لعلها عرفت ذلك فى صباها، فبلغها قوله فنظمت أخرى حربية، وسيرت إليه تقول: عِلْمي بتلك كعلمى بهذه(٤).

واشتهرت بعض النساء ممن اشتغلن فى العصر الأيوبى ببعض العلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والكيمياء نذكر منهن:

---

(١) أعلام النساء ٣/٢٩٩.

(٢) المرجع السابق ٤/٣٢.

(٣) المرجع السابق ٢/٧٨.

(٤) الأعلام ٢/٨٦، أعلام النساء ١/١٧٤، أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٣٣٤. نقلا عن السيوطى: نزهة الجلساء فى أشعار النساء - أحمد عزت عثمان صالح، مرجع سابق ص ١٣٤، نقلا عن محمد زغلول سلام، الأدب فى العصر الأيوبى.

* **روضة الزمان ابنة زكريا بن يحيى البياس**: كان والدها من أطباء صلاح الدين الأيوبى، واشتهرت بأنها كانت على علم بالطب والهندسة بجانب أنها كانت كاتبة وأديبة(١).

و- تعليم المرأة فى دولة المماليك:

عندما قام المماليك بحكم مصر (١٤٨هـ / ٩٢٣هـ) كثر إنشاء المدارس، حتى أن الرحالة ابن بطوطة يذكر عن مدارس مصر أنه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها، وترجع هذه الكثرة من المدارس إلى أن المماليك غلبت نظرتهم إلى التعليم على أنه خيرى(٢). وعلى مدار حكم المماليك قاموا ببناء حوالى (٨٦) مدرسة لتدريس علوم القرآن والحديث والتصوف والفقه على المذاهب الأربعة، وببعض هذه المدارس كان يلحق بها رباطا للنساء مثل المدرسة السعدية التى بناها الأمير شمس الدين السعدى سنة ٧١٥هـ(٣).

وفى هذه الفترة أقبلت النساء على تلقي العلم إذ حرصت كثيرات منهن على الذهاب إلى المجالس العلمية والدينية، حيث كن يجلسن فى مكان منفرد لسماع الدروس الدينية ، وكان بعض الوعاظ والفقهاء يخصون النساء دون الرجال بعلمهم بحجة أن النساء لا يُعلمهن أحد من أزواجهن شيئا ولذلك يجب إعطاؤهن عناية خاصة حتى يعرفن أحكام الدين(٤).

واستطاعت المرأة فى عصر سلاطين المماليك المساهمة بنصيب وافر فى الحياة العلمية والدينية، فقد أفرد السخاوى – أحد كتاب ذلك العصر – فى كتابه الضوء اللامع ، حيزا كاملا فيه ما يزيد عن الألف ترجمة لنساء عشن فى القرن التاسع

---

(١) جمال الدين الرمادى: صلاح الدين الأيوبى محطم رأس الاستعمار على صخرة الوحدة العربية ، كتاب الشعب (٢٥) مطابع الشعب، القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٨.

(٢) سعد مرسى أحمد، سعيد إسماعيل على: تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٤٥.

(٣) أمين سامى: التعليم فى مصر (١٩١٤-١٩١٥م) ، مطبعة المعارف بمصر ١٩١٧، ص ١٥-٣١.

(٤) أحمد عبد الرزاق: المرأة فى مصر المملوكية، دار الجيل للطباعة بالفجالة، القاهرة ، ١٩٧٥، ص ٣٠، نقلا عن : طبقات الشعرانى.

الهجرى، ولمعظمهن نصيب كبير فى الحياة العامة بمصر أثناء تلك الفترة[١].

وقام الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٠٥ هـ بترجمة لشيخات عدة أخذ عنهن وذلك فى كتابه «أبناء الغمر»[٢].

ونجد الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ، قد شهد مجالس حافلة لرواية الحديث تصدرتها سيدات نسب إليهن فى كتابه «المنتقى من أحاديث النجاة»[٣]. وقد عدّ الحافظ السيوطى من بين شيوخه عشرين شيخة تصدرن مجالس السماع - أى سماع الأحاديث والدروس[٤].

ولقد نشطت المرأة فى تلك الفترة فى دراسة الفقه والحديث إلى درجة كبيرة، فلقد قامت الباحثة بمحاولة لحصر شهيرات النساء اللواتى درسن الحديث والفقه واللاتى ورد ذكرهن فى معجم أعلام النساء، فحصرت حوالى **ثمانمائة وست وأربعين** (٨٤٦) امرأة، ووجدت الباحثة أن ما يقرب من نصف هذا العدد - حوالى **أربعمائة امرأة** - عشن فى عصر المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ). وربما يرجع ذلك إلى تشجيع المماليك على دراسة العلوم الدينية، فقد كان الغرض الأساسى من بنائهم المساجد والمدارس - بجانب الظهور بمظهر التقوى - هو القضاء على المذهب الشيعى من خلال التشجيع على دراسة المذهب السنى[٥].

ومن شهيرات النساء فى دراسة الحديث:

* **زينب بنت أحمد بن عبد الواحد المقدسية (المعروفة ببنت الكمال)**: ولدت سنة ٦٤٦هـ. وقال عنها ابن حجر أنها روت الكثير وكان يتزاحم عليها الطلبة، ويقرءون عليها الكتب الكبار. وقال الكتانى: عندى جزء خرّجه لها الحافظ البرزالى من مروياتها فيه واحد وثلاثين حديثا توفيت سنة ٧٤٠هـ[٦].

* **زينب بنت يحيى السلمى**: ولدت سنة ٦٤٨ هـ، تفردت برواية المعجم

---

(١) السخاوى (محمد بن عبد الرحمن): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسى، القاهرة ١٣٥٣، هـ، جـ ١٢.

(٢) مشيخة البغال البغدادى ص ٢٢.

(٣) أنور الجندى: فى طريق المرأة العربية، مرجع سابق ص ٩.

(٤) عائشة عبد الرحمن: ندوة مكانة المرأة فى الأسرة الإسلامية، مرجع سابق ص ٢٩٥.

(٥) عبد الغنى عبود: فى التربية الإسلامية، دار الفكر العربى، ١٩٧٧، ص ١٢٧.

(٦) أعلام النساء ٢/٤٦.

الصغير للطبرانى بالسماع المتصل، وقال الذهبى: كانت تحب الرواية لدرجة أنه يوم موتها قرئ عليها عدة أجزاء. توفيت سنة ٧٣٥هـ[١].

* **سارة بنت عمر بن عبد العزيز**: ولدت سنة ٧٦٠هـ، أجاز لها الكثير من العلماء وحمل عنها السخاوى ما يفوق الوصف. وعند وفاتها قال: نزل أهل مصر بموتها فى الرواية درجة. توفيت سنة ٨٥٥هـ[٢].

* **عائشة بنت عبد الهادى المقدسية**: ولدت سنة ٧٢٣ هـ. أجاز لها الكثير من العلماء حتى أن الحافظ نجم الدين رتبهم أبجديا، وأجازت للكثيرين مثل أبى الفتح العثمانى، كانت ذات سند قويم فى الحديث وقرأ عليها الحافظ ابن حجر العديد من الكتب لصحيح البخارى. توفيت سنة ٨١٦هـ[٣].

* **مريم بنت على الهورينية**: ولدت سنة ٧٧٨هـ. أجاز لها العراقى والهيثمى وغيرهم. وقرأ عليها السخاوى. كانت مسندة حنبلية من العالمات بالحديث روته بنابلس ودمشق وغيرهما، وخرّج لها الحافظ ابن حجر معجم أسماه «**معجم الشيخة مريم**»[٤].

* **ست الوزراء بنت يحيى الدمشقى**: محدثة ولدت سنة ٦٨٩ هـ، أجاز لها السخاوى وابن عساكر وغيرهم. حدثت بصحيح البخارى فى القاهرة بقلعة الجبل. توفيت سنة ٧١٥ هـ.[٥].

ويفيد وجود ست الوزراء فى قلعة الجبل – مقر الحكم – إلى أنها ربما كانت تعلّم: نساء السلطان، ونساء أمراء المماليك، وهذا شبيه بما عرف عن عدد كبير من العلماء الذين كانوا يقرأون الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى للسلطان وأمرائه فى القلعة.[٦].

---

(١) أعلام النساء ٢/١٢٢.

(٢) أعلام النساء ٢/٣٧٩.

(٣) أعلام النساء ٣/١٨٧.

(٤) أعلام النساء ٥/١٩٨، الأعلام ٧/٢١٠ – والمعجم مخطوطة فى دار الكتب (١٤٢١ حديث).

(٥) أعلام النساء ٢/١٧٤.

(٦) على سالم إبراهيم البناهين: نظام التربية فى عصر دولة المماليك فى مصر رسالة ماجستير غير منشورة، =

ومن الفقيهات ، اشتهرت :

* **فاطمة بنت عباس البغدادية (أم زينب)** : كانت فقيهة زاهدة، انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وأثنى عليها ابن تيمية، ولقبها المقريزى «بسيدة نساء زمانها» وذكر عنها أنها كانت فقيهة وافرة العلم، وانتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وكانت الشيخة فاطمة تقيم بالرباط الذى بنته تذكار باى خاتون ابنة الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ. توفيت سنة ٧١٤ بمصر(١).

* **فاطمة بنت أحمد بن يحيى**: كانت تستنبط الأحكام الشرعية، وتتباحث مع والدها فى المسائل الفقهية حتى شهد لها والدها مع علمه، وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها ويستفتيها فيما يشكل عليه من مسائل خلال تقريره الدرس لتلاميذه فترشده للصواب، ويرجع إلى تلاميذه فيشرح لهم ما أشكل عليهم فيقولون: ليس منك بل من خلف الحجاب، توفيت سنة ٨٤٠هـ(٢).

ونجد من اللواتى اشتهرن بعلوم القرآن :

* **فاطمة بنت محمد بن يوسف الديروطى**: عاشت فى زمن السخاوى، حفظت القرآن وعقيدة الغزالى وأربعين النووى والبردة والشاطبيتين ونونية السخاوى وغيره، وبرعت فى القراءات(٣).

* **بيرم بنت أحمد الديروطية**: تلت القرآن بالقراءات السبع، ودخلت مع أبيها بيت المقدس فقرأت على من به من الشيوخ ووعظت النساء، وحفظت العمدة وأربعين النووى والشاطبيتين والبردة وعقيدة الغزالى وغير ذلك(٤).

* **سلمى بنت محمد الجذرى (أم الخير)** : عاشت فى القرن التاسع الهجرى،

= كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٨٠ . ص ٢٨٠ .

(١) أعلام النساء : ٤ / ٦٦ ، خطط المقريزى: ٢ / ٤٢٨ . كان بالرباط دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن فى أمر دينهن وكان هذا الرباط تودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن، حتى تتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن صيانة لها لما كان فيه من شدة الضبط والمواظبة على وظائف العبادات. وكل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال له «البغدادية».

(٢) أعلام النساء ٤ / ٣١ .

(٣) أعلام النساء ٤ / ١٤١ .

(٤) أعلام النساء ١ / ١٦١ .

حفظت القرآن وقرأته بالقراءات العشر وكتبت الخط الجيد، وكانت تنظم الشعر بالعربية والفارسية.(١).

ولم تقتصر المرأة فى تلك الفترة على دراسة علوم الدين، بل تعدته إلى دراسة علوم اللغة وغيرها ، ومنهن من جمعت بين علوم الدين واللغة ومن هؤلاء:

* **دهماء بنت يحيى بن المرتضى** : درست الفقه وبجانبه برعت فى النحو والأصول والمنطق والنجوم والرمل والسيمياء والشعر. ألفت شرحا للأزهار فى أربعة مجلدات وشرحا لمنظومة الكوفى فى الفقه والفرائض وشرحا لمختصر المنتهى . توفيت سنة ٨٣٧هـ(٢).

* **نضار بنت محمد بن يوسف الأندلسى(أم العز)** : ولدت سنة ٧٠٢هـ سمعت من شيوخ مصر، وخرجت جزءا لنفسها، حفظت مقدمة فى النحو ونظمت شعرا وكانت تعرب جيدا، وكان والدها يثنى عليها، ويقول ليت أخاها حيان مثلها(٣).

كذلك اشتهرت الكثير من الواعظات اللائى تخصصن فى وعظ النساء وتعليمهن وتحفيظهن القرآن مثل:

* **عائشة بنت يوسف الباعونية** : أديبة وشاعرة ومتصوفة، ذهبت للقاهرة لتحصيل العلم حتى أجيزت بالإفتاء والتدريس، قامت بالتأليف لكثير من الكتب والرسائل والقصائد، توفيت سنة ٩٢٢هـ(٤).

* **عائشة بنت إبراهيم بن الصديق (زوجة الحافظ المزى)** : ولدت سنة ٦٦١ هـ. كانت تلقن النساء، وكان النساء يختمن عليها القرآن، وقال عنها ابن كثير : كانت عديمة النظير فى حسن تأديتها للقرآن، توفيت سنة ٧٤١هـ(٥).

ويبدو أن بعض النساء اللواتى احترفن التدريس، وعقدن حلقات العلم كن يتقاضين أجرا عن ذلك لحاجتهن، فقد ذكر السخاوى أن هاجر ابنة محمد «لم تكن تمتنع عن تناول ما تنفق به فى معيشتها لشدة فاقتها، وربما طلبت المزيد»(٦).

---

(١) أعلام النساء ٢/ ٢٥٤.

(٢) أعلام النساء ١/ ٤٢٠.

(٣) أعلام النساء ٥/ ١٧٧.

(٤) أعلام النساء ٣/ ١٩٦.

(٥) أعلام النساء ٣/ ٤.

(٦) السخاوى: الضوء اللامع ، مرجع سابق ١٢/ ١٣١.